محمود عباس (أبو مازن)

حتى لا نقـع في الخطأ

أساء احتدام الصراع العربي الصهيوني الى حقيقة النظرة العربية تجاه اليهود، إذ انحرف الكثيرون سواء في الوطن العربي أو خارجه عن الفهم الحقيقي لطبيعة هذا الصراع، عندما صوِّر على أنه صراع ديني بين اليهود الذين حلموا بالعودة إلى «أرض الميعاد» من المنفى، بعد شتات دام عشرين قرنا، وبين المسلمين الذين عاشـوا فيها – عرباً – قبل هذا التاريخ وبعده. ويتبارى المؤرخون وعلماء الدين والاجتماع في تقديم الحجج والأدلة والبراهين، وكل يعود إلى مصادره وأسانيده في التوراة والتلمود والقرآن والعهد الجديد، يلتمس برهانه ليبدأ هجومه، ولتستمر معركة طويلة لا تنتهي؛ ولكن هذه المعركة بعيدة كل البعد عن ساحتها الأساسية.

وكلما هدأت نيران الحرب الفقهية والتاريخية والقانونية، لا تلبث أن تشتعل مرة أخرى لتبتعد أكثر فأكثر عن ميدانها الحقيقي. ولعل آخر ما تفتّق عنه عقل الصهيونية، وبمناسبة الحديث عن توحيد «القدسين» في واحدة، هو قول مناحيم بيغن أن اسم القدس – أورشاليم – ورد في التوراة ألفا وخمسمئـة مرة، بينما لم يرد لها ذكر في القرآن ولو مرة واحدة. وهذا على زعمه دليل قاطع بأن لا حق للمسلمين فيها وانها لليهود، وعدهم بها الله رب ابراهيم ورب موسى. ويجر الى هذا الجدل كل الساسة العرب، يبحثون في بواطن التاريخ وكتب الفقة والدين عن كل ما يثبت أن ابراهيم هو جدنا وجدهم، وأبونا وأبوهم، وأن الوعد الالهي لنا ولهم، وان الأرض أيضا لنا ولهم.. نحن أبناء اسماعيل.. وهم أبناء اسحق.. ولدي ابراهيم.

إلا أن نتائج هذا الجدل لا تقف عند هذا الحد، بل تنبش شيئاً دفيناً لا يمكن الشفاء منه بسهولة، هو الكراهية اليهودية-الاسلامية؛ ولنقل الكراهية العربية-اليهودية. وهكذا انقلبت القضية الى مجابهة بين كل يهودي من جهة، وبين كل عربي أو مسلم من جهة أخرى. وهذا بالتأكيد ما رمت اليه الصهيونية مؤيدة من الامبريالية، لتؤكد نظريتها القائلة بأن العداء لليهود عداء ديني أبدي، وهي بذلك تهدف من وراء إثارة هذا الجدل،